بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة صلاة الجمعة للشيخ محمد أمين جمعة زبادنة

مواساة الأرحام

إِنَّ الحَمدَ لله ، نَحمَدُهُ وَنستَعِينُهُ وَنَستَغفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيه ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَمِن سَيِّئَاتِ أَعمَالِنَا ، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَه ، وَمَن يُضلِل فَلا هَادِيَ لَه ، وَأَشهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلا الله وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَه ، وَأَشهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبدُهُ وَرَسُولُهُ وَصَفِيُّهُ وَخَلِيلُه ، اللهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ وَالتَّابِعِين ، وَأَحسَنَ اللهُ خِتَامِي وَخِتَامَكُم وَخِتَامَ الْمُسلِمِينَ أَجمَعِين.

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُون} [سورة آل عمران (102)] وقال الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدَاً / يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً} [سورة الأحزاب (70-71)].

وبعد أيها الإخوة المؤمنون: فإن خير الكلام كلام الله سبحانه وتعالى القائل: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون} [سورة آل عمران (92)] وقال الله سبحانه وتعالى: {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ} [سورة الأنفال (75)] وقال النبي : (من أحب أن يُبسط له في رزقه -أي يوسع له في رزقه- ويُنسأَ له في أثره ، فليصل رحمه) [متفق عليه].

أيها الإخوة المؤمنون: صلة الأرحام من وصايا الإسلام ، وفي الحقيقة الإنسان عليه دائماً أن يتكلم عن صلة الأرحام ، من أجل أن يندفع الناس إلى التحلي بهذا العمل الإيماني العظيم ، ومن أجل أن نرضي ربنا وحبيبنا سيدنا محمداً ، خاصة وأننا نعيش في أيام صعبة ، إذا جلست مع إخوانك المتنوعين في جلسة من الجلسات تسمع الآهات وتسمع القصص وتسمع الحكايا ، الأسرة الفلانية حدث معها كذا وكذا في بيتها وفي أغراضها ، والأسرة الفلانية كذا وكذا ، ولا أريد أن أتحدث بأمثلة ، فالأمثلة عندكم والأخبار عندكم ، لذلك نحن هنا في هذه الأيام الصعبة علينا أن نعيش إذاً مع مواساة بعضنا البعض ، نضع عنواناً لحياتنا ولمنهج حياتنا ، وللأعمال التي علينا أن نقوم بها ، عنوان المواساة ، المواساة بشتى أنواعها ، فنبينا يقول في الحديث الشريف: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَة) [أخرجه البيهقي] أمر عظيم وعمل عظيم ، ويوم القيامة نحن بحاجة إلى إنقاذ ، لذلك عملنا الصالح في الدنيا يُؤدي إلى إنقاذنا في الآخرة ، وفوزنا في الآخرة ، ونجاتنا في الآخرة ، وهذا ما علينا أن نسعى إليه دائماً وأبداً . في الحقيقة قرأت حادثةً في أحد الكتب منذ أيام قليلة ، قال: أخوان من أم وأب واحد ، أحدهما غني والآخر فقير ، لكن فقره كان غير واضح لأخيه الغني ، فجاء هذا الأخ الفقير -سنقول الفقير لنعرفه- إلى أخيه الغني ، فقال: يا أخي أنا بحاجة إلى مساعدة ، وبحاجة إلى دعم ، وبحاجة إلى مال ، أرجو أن تساعدني ، فما كان من الأخ الغني إلا أن قام مباشرة إلى أمواله ، وجلب له أموالاً تكفيه وأعطاه إياها ، وانصرف الأخ بعد أن أخذ دعماً ومساعدة ومال من أخيه . الغني دخل إلى غرفته وأخذ يبكي ، وأخذ يبكي ، وأخذ يبكي ، قالت له زوجته: لماذا تبكي ؟ أخوك جاء لعندك وطلب مساعدة وطلب مالاً وأعطيته وانتهى الموضوع ، لماذا تبكي ؟ قال لها: إن المطلوب مِني هو أن أتعرف على حاجة أخي وطلبات أخي من غير أن يسألني ويطلب مني . الله أكبر ! قصة وحادثة تهز المشاعر وتهز النفوس ، وتجعل الإنسان يفكر ، هل في هذا الزمان أناس بهذا الإيمان العالي وهذا القدر العظيم من حمل المسؤولية ؟ إن علينا إذاً أن يَشعر كل واحد منا بالآخرين ، إن علينا أن ننظر إلى اليمين وإلى اليسار والشمال ، وأن نتفقد أحوال بعضنا البعض ، من أجل أن ندعم ، من أجل أن نساعد ، نبدأ بالأرحام ، نبدأ بالإخوة ، نبدأ بالأقارب ، وننطلق إلى بقية المؤمنين ، مواساة دعماً مساعدة ، من أجل أن يشعر الناس جميعاً بالحياة الحلوة والحياة الجميلة ، أن ندخل السرور على قلوب الجميع . أبو طلحة الأنصاري ، صحابي كان يعيش في المدينة المنورة ، وعنده مزرعة جميلة غناء ، فيها بئر ماء عذب ، وفيها ما فيها من الأشجار المثمرة ، أخذ يَقرأ في كتاب الله ، ووصل إلى سورة آل عمران ، وقرأ الآية القرآنية: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون} [سورة آل عمران (92)] فَهِمَ معنى هذه الآية ، وتعمق في فهمها ، وذهب مباشرة إلى النبي ، يا رسول الله ، لقد قرأت الآية القرآنية التي تقول: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون} وإن أحب مالي إلي بيرحاء ، -مزرعة كبيرة ضخمة فيها الكثير الكثير من أشجار النخيل ، فهم الآية- إن أحب مالي إلي بيرحاء ، ضعها يا رسول الله حيث أراد الله . الله أكبر ! هؤلاء هم صحابتنا ، هؤلاء هم قدوتنا ، هؤلاء تلاميذ محمد ، الذين فهموا الإسلام ، وعاشوا مع القرآن ، ويطبقون ما يشير إليه القرآن ، إن أحب أموالي إلي بيرحاء ، ضعها يا رسول الله حيث أراك الله -أي المزرعة الحلوة الكبيرة الواسعة بأشجارها وثمارها- ضعها يا رسول الله حيث أمرك الله . فماذا قال له النبي : بَخٍ بَخٍ ، ذلك مال رابح ، ذلك مال رابح ، هذا الكلام الذي تتكلمه يا أبا طلحة ، ذلك مال رابح ، ضعها يا أبا طلحة في الأقربين . الله أكبر ما هذا النبي ، هديه وتوجيهه وتعليمه ، ضعها يا أبا طلحة في الأقربين ، الأرحام أقاربك ، هؤلاء أولاً اللهُ يقول في القرآن: {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ} فإذاً ضعها في الأقربين ، فما كان من أبي طلحة إلا أن وزعها على أقاربه ، وزع المزرعة وزع العقار ، وزع الأرض وزع الثمار ، على أقاربه لأنه قرأ الآية القرآنية {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون} قرأت أيضاً حادثة من أجمل الحوادث ومن أعظم الحوادث ، عن عالم اسمه الواقدي ، عاش في القرن الثامن للهجرة ، الواقدي عالم كبير عاش في ذلك الزمان ، يحدثنا ويقول لنا: كان لي صديقان ، أحدهما هاشمي من بني هاشم ، والآخر صديق من تلك البلدة ، قال: قبيل العيد بأيام قالت لي زوجتي: يا زوجي إن أولادنا ليس عندهم ملابس من أجل العيد ، ثيابهم رثة قديمة ممزقة -يعني ليس عندنا ملابس- أنا وأنتَ نصبر على هذا الزمان الصعب ، أما أولادنا فلا ، قال لها: ليس معي مال لكني سأرسل إلى صديقي الهاشمي ليدعمنا ، أرسل واحداً وقال له: أنا بحاجة إلى مساعدة وإلى مال ، فما كان من صديقه إلا أن بادر وسارع إلى جمع ما معه ، جمع ما معه ألف درهم ، وضع الألف درهم في كيس وأرسله للواقدي -ألف درهم فضة طبعاً ، عندما نقول درهم يعني فضة ، ودينار يعني ذهب- أرسله إلى الواقدي ، وعندما وصل كيس الألف درهم إلى الواقدي جاءه مندوب من صديقه الثالث ، قال له: أنا بحال ضيق وأريد مساعدة ! الكيس ما زال في يده لم يمسه ، فوراً حمل الكيس وأعطاه له ، وقال له: خذه إلى صديقي الثالث ، في اليوم الثاني ، الصديق الأول الهاشمي الذي جمع ما عنده من مال ووضعه في كيس وأرسله إلى الواقدي ، قال لأسأل صديقي الثالث: هل معه مال أو أي دعم يساعدني ؟ فأرسل إليه فالصديق الثالث معه كيس الدراهم ، فأرسله إليه وعندما وصل كيس الدراهم إلى الهاشمي ، تفاجئ هذا الكيس أنا أرسلته والدراهم من عندي ، ما القصة وما لحكاية ، ذهب مباشرة إلى الواقدي العالم ، وقال له: حدثني ما هي قصتك ؟ قال له: أنا بحاجة إلى مال وأرسلتُ إليك ، فأرسلتَ إلي هذا الكيس من الدراهم ، وعندما وصل إلي كيس الدراهم أرسل إلي صديقي الثالث يُريد مُساعدةً ودعماً ، فأرسلت له الكيس مباشرة ، فقال له: وأنا عندما أرسلتُ لك الكيس قلتُ لعلي أطلب المساعدة من صديقنا الثالث ، فأرسلت له فأرسل لي الكيس بذاته فجلس الثلاثة وتقاسموا كيس الدراهم فيما بينهم ، اسمعوا آخر الحادثة ونختم خطبتنا ، علم بهذه هذه الحادثة وهذه القصة التي جرت بين هؤلاء الثلاثة المأمون الخليفة ، علم فرأى هذا الحب فيما بينهم ، فرأى هذا التعاون فيما بينهم ، هذا الإخاء فيما بينهم ، فقال لمن عنده: اصرفوا لهؤلاء سبعة آلاف دينار ذهب على عملهم العظيم فيما بينهم . الله أكبر ! إذاً الإنسان الذي يَفعل الصالحات ، ويكثر من عمل الصالحات ، ويعيش مع إخوانه مُواساة ودعماً ومساعدة ، اللهُ يُلهم الآخرين بأن يَدعموهم ويساعدوهم ، فالدراهم الفضية ما قيمتها أمام الدنانير الذهبية التي أرسلها المأمون . إذاً اذكروا قصة الواقدي ، واذكروا قصة هؤلاء الثلاثة الذين كان في قلبهم من الإيمان العظيم الذي جعلهم يتعاونون تعاوناً عظيماً فيما بينهم ، لذلك أعود وأقول: {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْض} [سورة الأنفال (75)] أعود وأقول (من أحب أن يُبسط له في رزقه –أي يوسع له في رزقه-، ويُنسأَ له في أثره ، فليصل رحمه) [متفق عليه] . صلة الأرحام لا تكون فقط بالسلام الجامد الجاف ، صلة الأرحام تكون بتفقد أحوال الأرحام ، والعيش معهم وإدخال السرور على قلوبهم . اللهم يا إلهنا ويا خالقنا ، وفقنا لما فيه الخير ولما فيه رضاك يا رب العالمين .

بتصرف